Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 20:4 (1985

ما هو المسجد الاقصى ؟

القدس أو البيت المعمور؟

محمد يحيى

ان القرآن هو المورد الصافى لطالبى الحق والهدى وهو السراج المنير الذى يستنيربه المسلم طريق حياته ولسترشد به اذا وجد نفسه حائرا فى مشاكل الحياة

ومن المشاكل الكبرى التى يواجهها المسلمون الآن احتلال اليهود للاراضى المقدسة واستيلائهم على المسجد الاقصى . ويبدو فى الظاهر كأن الامة عاجزة عن حل هذه المشكلة ولكن الروح المقاومة للامة المسلمة لاتزال حية لم تنهزم ولم تستكن . ويعرف اعداء المسلمين ان غلبتهم المادية على هذه الاراضى لن تدوم و المقاومة ضدّهم ستستمر ، لان حب المسلمين للاراضى المقدسة وتقديسهم للمسجد الاقصى ليس بظاهرة اجتماعية او وطنية فقط بل هى ظاهرة دينية روحية اساسها على ايمانهم بأن المسجد الاقصى من الشعائر الاسلامية التى يجب عليهم حفظها والدفاع عنها .

ولاسبيل للاعداء ان يقضوا على هذه المقاومة الا ان يمحوا من قلوب المسلمين تقديس الاراضى المحتلة . فانهم الآن بدأوا يحاولون أن يشوهوا وجه التاريخ ويشيعوا بين المسلمين بعض

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

المغالطات العلمية . من هذه المحاولات ادعاء بعض الناس بان المسجد الاقصى الذى ذكر فى الاية الكريمة „ سبحن الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى „ الخ ـ ليس بالقدس بل هو البيت المعمور الذى فى السماء . فاذا شاع هذا المعنى بين المسلمين و قبلوه تضعف عندهم داعية الجهاد لتحرير هذا المسجد و الاراضى المباركة التى حوله .

ومن المؤسف أننا نجد عند بعض مترجمى القرآن الكريم باللغة الاردية مايؤيد اعدائنا بل يوفر لهم الفرصة ليشيعوا بين الناس و بين المسلمين خاصة مايخدم اغراضهم .

وامامنا الان ترجمة مولوى فرمان على الاثنا عشرى للآية المذكورة ، يقول فيها :

,,وه خدا (هر عيب سے) پاک و پاکيزه هے جس نے اپنے بندے کو راتوں رات مسجد حرام (خانه کعبه) سے اقصى (آسمانى مسجد) تک سير کرائى جسکے چوگرد هم نے هر قسم کى برکت مهيا کر رکهى هے „ .

ويقول فى الحاشية : ,,يقول بعض الناس بأن المسجد الاقصى هو بيت المقدس ولكن يثبت من تفاسير كثيرة أن المسجد الاقصى هو المسجد الذى يوجد فى السماء بمقابل الكعبة „ (الاصل بالاردية) .

ويقول مؤيدوا هذه الترجمة ان المسجد الاقصى لايمكن أن يكون بيت المقدس لان القرآن يقول : ,,المسجد الاقصى الذى باركنا حوله „ وبيت المقدس كان تحت حكم الكفر ايام الاسراء . والسكنة حول بيت المقدس كانوا يهودا أو نصارى ، وكانت الخنازير ترعى حول هذا المكان فأى بركة هذه ليذكرها القرآن ؟ و اما البيت

المعمور فهو فى السماء السابع يعبد فيه الملائكة ربهم ، فهو المسجد الذى بارک الله حوله و اسرى عبده اليه .

وهذا رأى بعض الاثنا عشرية فقط . ولم نجد مثل هذه الترجمة عند اهل السنة ولم يقل به احد من المفسرين الكبار المعتمد عليهم فى التفسير عند جمهور الامة . اتفق المفسرين القدماء بأن المراد من المسجد الاقصى هو بيت المقدس و فسروا كلمة ,,الاقصى،، وكلمة ,,باركنا،، بأحسن تفسير :

يقول الطبرى : ,, الى المسجد الاقصى يعنى بيت المقدس ، وقيل له الاقصى لانه ابعد المساجد التى تزار ويبتغى فى زيارته الفضل بعد المسجد الحرام (١) ،، فيشير الطبرى الى بعد المسجد فى الزيارة و الى غرض الزيارة ايضا بأنه ابتِغاء الفضل و البركة .

ويقول ابن كثير : ,,الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس الذى بايلياء ، معدن الانبياء من لدن ابراهيم الخليل عليه السلام ولهذا جمعوا له هناک فأمّهم فى محلهم ودارهم ،، (٢) .

فابن كثير ايضا يشير الى البركة الروحانية لان الاراضى التى فيها المسجد هى معدن الانبياء .

ويصرّح الرازى باتفاق المفسرين على هذا التفسير ويقول : ,,الى المسجد الاقصى : اتفقوا على ان المراد منه بيت المقدس وسمى بالاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ،، (٣) . وتفسيره لكلمة باركنا اوضح لانه يشير الى البركة المادية الدنيوية التى تشاهد فى تلک الاراضى و الى البركة الروحية ايضا .

,,وقوله الذى باركنا حوله : ,,قيل بالثمار و الازهار ، وقيل بسبب انه مقر الانبياء ،ومهبط الملائكة ،، (٤) .

واتفق مع هوءلاء المتأخرون ايضا ، فقدجاء فى روح المعانى للعلامة محمود الآلوسى :

,,الى المسجد الاقصى ، وهو بيت المقدس ووصفه بالاقصى اى الابعد بالنسبة الى من بالحجاز ،، (٥) .

ويقول الشوكانى فى فتح القدير : ,,ثم ذكر سبحانه الغاية التى اسرى برسوله اليها فقال المسجد الاقصى وهو بيت المقدس وسمى الاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ، ولم يكن حينئذ ماوراءه مسجد ، ثم بارك الله سبحانه حول المسجد الاقصى ببركات الدنيا والاخرة ،، (٦) .

وهكذا اتفق المفسرون قديما و حديثا على أن المسجد الاقصى هو بيت المقدس ، وسمى بالاقصى لانه كان ابعد المساجد من المسجد الحرام اذ لم يكن وراءه مسجد فى ذلك العصر ، ثم الاراضى حوله كانت مباركة بالبركات الدنيوية و الروحانية معا .

والمعنى الذى جاء به المولوى فرمان على لايمكن القول به الا اذا خلط بين وقعتى الاسراء و المعراج ، ولاشك فى انهما وقعتان فى ليلة واحدة ولكن فى مرحلتين ، المرحلة الاولى تسمى بالاسراء والمرحلة الثانية بالمعراج كما صرح السيد قطب :

,,وقصة الاسراء معها قصة المعراج اذ كانتا فى ليلة واحدة ، الاسراء من المسجد الحرام فى مكة الى المسجد الاقصى فى بيت المقدس ، والمعراج من بيت المقدس الى السموات العلى و السدرة المنتهى (٧) .

ولايمكن هذا الخلط بين الوقعتين الا باهمال لغة القرآن اهمالا صريحا وبصرف النظر عما جاء فى الاخبار النبوية حتى فى الاخبار

الاثنى عشرية كما سيأتـى .

ان القرآن الكريـم الـذى هو آية الله الكبـرى فـى البـلاغـة والفصاحة قد اختـار كلمـة ,,أسرى ،، لبيان هذه الوقعة ، وهذه الكلمة تجمع بين معنيين دقيقين . الاسراء افعال من السرى ، والسـرى : ,,السير بالليل ،، كما قال به الراغب فى المفردات ،، (٨) .

ثم مامعنى السير ؟ هو النهى فى الارض حسب الراغب (٩) فكلمة ،، اسرى بعبده ،، تدل على حركة الرسول صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام ليلا على الارض الى المسجد الاقصى .

ثم ان القرآن يستعمل كلمتى ,,العروج ،، والصعود ، للحركة التى تكون من الارض الى السماء ولايستعمل كلمة السير لهذه الحركة كما يتضح من الآيات التى تلى :

١) " تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ،، (١٠)

٢) ,,ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ،، (١١) .

٣) ,,اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ،، (١٣) .

وهكذا اصحاب اللغة ، نذكرمنهم المتنبى على سبيل المثال ، لاعلى سبيل الحصر ، يقول

فجاز وهو علـى آثارهـا الشهبـا ،، (١٣) . ,,مـرات صعـدت و الفكريتبعها

ولم يتفرد مفسرو اهل السنة فى التفريق بين المرحلتين و اطلاق كلمة ,,الاسراء ،، على المرحلة الاولى وكلمة المعراج على المرحلة الثانية ، بل اتفق المفسر الشيعى الشهير ,,القمى ،، معهم و استعمل كلمة السير للمرحلة الاولى الى ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

من المسجد الحرام الى بيت المقدس و اطلق على بيت المقدس كلمة المسجد ثم اطلق كلمة صعود على ذهابه الى السموات ، وهاكم عبارته الكاملة :

عن هشام بن سالم عن ابى عبدالله رضى الله عنه قال : جاء جبرئيل وميكائيل واسرافيل بالبراق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ واحد باللجام ، وواحد بالركاب ، وسوى الآخر عليه ثيابه ، فتضعضعت البراق فلطمها جبرئيل ، ثم قال لها : اسكنى يا براق ، فما ركبك نبى قبله ولا يركبك بعده مثله ، قال : فرقت به ورفعته ارتفاعاً ليس بالكثير ، ومعه جبرئيل ، يريه الآيات من السماء والارض . قال : فبينا انا فى مسيرى اذ نادى مناد عن يمينى : يا محمد ، فلم اجبه ولم ألتفت اليه ، ثم نادانى مناد عن يسارى : يا محمد ، فلم اجبه ، ولم التفت اليه ، ثم استقبلتنى امرأة كاشفة عن ذراعيها وعليها من كل زينة الدنيا ، فقالت : يا محمد . انظرنى حتى اكلمك . فلم ألتفت اليها ، ثم سرت فسمعت صوتاً أفزعنى فجاوزت به ، فنزل بى جبرئيل ، فقال : صلّ ، فصليت ، فقال : اتدرى اين صليت ؟ فقلت : لا ، فقال : صليت بطيبة واليها مهاجرتك ، ثم ركبت ، فمضينا ما شاء الله ، ثم قال لى : انزل وصل ، فنزلت وصليت ، فقال لى : أتدرى اين صليت ؟ فقلت: لا ، فقال : صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى تكليما . ثم ركبت ، فمضينا ماشاء الله ، ثم قال لى : انزل فصل ، فنزلت وصليت ، فقال لى اتدرى اين صليت ؟ فقلت : لا ، قال : صليت فى بيت لحم بناحية المقدس ، حيث ولد عيسى بن مريم عليه السلام . ثم ركبت فمضينا حتى انتهينا الى بيت المقدس ، فربطت البراق بالحلقة الى كانت الأنبياء تربط بها ، فدخلت المسجد ، ومعى جبرئيل الى جنبى ،

فوجدنا ابراهيم و موسى و عيسى فيمن شاء الله من انبياء الله قد جمعوا الى أقيمت الصلاة ولا اشک الا وجبرئيل استقدمنا ، فلما استووا اخذ جبرئيل بعضدى فقدمنى فاممتهم ولافخر .

ثم اتانى الخازن بثلاث اوانى ، اناء فيه لبن و اناء فيه ماء واناء فيه خمر ، فسمعت قائلا يقول : ان اخذ الماء غرق و غرقت امته ، وان اخذ الخمر غوى وغوت امته ، وان اخذ اللبن هدى وهديت امته ، فاخذت اللبن فشربت منه . فقال جبرئيل : هديت وهديت امتک . ثم قال لى : ماذا رأيت فى مسيرک ؟ فقلت نادانى مناد عن يمينى . فقال لى : أو أجبته ؟ فقلت : لا ، ولم التفت اليه ، فقال : ذاک داعى اليهود لو اجبته لتهودت امتک من بعدک . ثم قال : ماذا رأيت ؟ فقلت نادانى مناد عن يسارى . فقال : أو أجبته ؟ فقلت : لا ولم التفت اليه ، فقال : ذاک داعى النصارى لوأجبته لتنصرت امتک من بعدک !!! ثم قال : ماذا استقبلک ؟ فقلت : لقيت امرأة كاشفة عن ذراعيها عليها من كل زينة . فقالت : يا محمد ؛ انظرنى حتى اكلمک ، فقال لى : أفكلمتها ؟ فقلت : لم اكلمها ولم التفت اليها ، فقال : تلک الدنيا ، ولو كلمتها لاختارت امتک الدنيا على الآخرة ، ثم سمعت صوتاً افزعنى ، فقال جبرئيل : أتسمع يا محمد ؛ قلت : نعم ، قال : هذه صخرة قذفتها عن شفير جهنم منذسبعين عاماً فهذا حين استقرت ، قالوا : فما ضحک رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبض .

قال : فصعد جبرئيل وصعدت معه الى سماء الدنيا و عليها ملک يقال له اسماعيل ، وهو صاحب الخطفة التى قال الله عزوجل : ((الامن خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب)) وتحته سبعون الف ملک تحت كل ملک سبعون الف ملک ، فقال : يا جبرئيل من هذا معک ؟

فقـــال : محمد صلى الله عليه وسلم قال : أوقد بعث ؟ قال : نعم . ففتح الباب ، فسلمت عليه وسلم على واستغفرت له واستغفرلى ، وقـال : مرحباً بالاخ الناصح والنبى الصالح . وتلقتنى الملائكة ، حتى دخلت سماء الدنيا ، فما لقينى ملک الا كان ضاحكا مستبشراً ، حتى لقينى ملک من الملائكة لم أر أعظم خلقاً منه كريه المنظر ظاهر الغضب ، فقال لى مثل ما قالوا من الدعاء الا انه لم يضحک ، ولم ار فيه من الاستبشار ، وما رأيت ممن ضحک من الملائكة ، فقلت من هذا يا جبرئيل ؟ فانى قد فزعت فقال يجوز ان تفزع منه ، وكلنا نفزع منه هذا مالک خازن النار لـــم يضحک قط ولم يزل منذولاه الله جهنم يزداد كل يوم غضباً وغيظاً على اعداء الله و اهل معصيته فينتقم الله به منهم ولو ضحک الى احد قبلک او كان ضاحكا لاحد بعدک لضحک اليک ولكنه لايضحک : فسلمت عليه فرد على السلام و بشرنى بالجنة ، فقلت لجبرئيل و جبرئيل بالمكان الذى وصفه الله مطاع ثم امين ، ألا تأمره ان يرينى النار؟ فقال له جبرئيل يا مالک ار مخمداً النار ، فكشف عنها غطاءها وفتح باباً منها ، فخرج منها لهب ساطع فى السمـاء وفارت فار تعدت حتى ظننت ليتناولنـى مما رأيت ، فقلت له يا جبرئيل قل لـــه فليرد عليها غطاءها فامرها فقال لها ارجعى فرجعت الى مكانها الذى خرجت منه .

ثم مضيت فرأيت رجلا ادماً جسّيما فقلت من هذا يا جبرئيل ، فقال هذا ابوک آدم فاذا هو يعرض عليه ذريته فيقول روح طيب وريح طيبة من جسد طيب ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المطففين عـــلى رأس سبعة عشر آية ((كلا ان كتاب الابرار لفى عليين ومـا ادريک ما عليون كتاب مرقوم)) الى آخرها ، قال : فسلمت على ابى

آدم وسلم علىّ واستغفرت له واستغفرلى ، وقال مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح والمبعوث فى الزمن الصالح .

ثم مررت بملک من الملائكة وهو جالس ، واذا جميع الدنيا بين ركبتيه واذا بيده لوح من نور فيه كتاب ينظر فيه ولا يلتفت يميناً ولا شمالا مقبلا عليه كهيئة الحزين فقلت : من هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا ملک المـــوت دائب فى قبض الارواح فقلت يا جبرئيل ادننى منه حتى اكلمه ، فادنانى منه فسلمت عليه ، وقال له جبرئيل : هذا محمد نبى الرحمـــة الذى ارســـله الله الى العباد ، فرحب بى وحيانى بالســـلام ، وقـــال : ابشر يا محمد ، فانى ارى الخير كله فى امتک . فقلت : الحمدلله المنان ذى النعم على عباده ذلک من فضل ربى و رحمته علي

فقال جبرئيل : هو اشد الملائكة عملا ، فقلت : أكل من مـــات او هو ميت فيما بعدَ هذا تقبض روحه ؟ قال : نعم . قلت : تراهم حيث كانوا وتشهدهم بنفسک ؟ فقال : نعم ، فقال : ملک الموت : ما الدنيا كلها عندى فيما سخـــرها الله لى ومكننى منها الا كالدرهم فى كف الرجل يقلبه كيف يشاء ، وما من دار الا و أنا اتصفحها كل يوم خمس مـــرات و اقـــول اذا بكى أهل الميت على ميتهم : لا تبكوا عليه ، فـــان لى فيكم عودة و عودة حتى لا يبقى منكم احد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كفى بالموت طامـــة يا جبرئيل فقال جبرئيل : ان ما بعد الموت اطم واطـــم من الموت . . . (١٤) وهكذا تسير الرواية الى آخرها.

واذا رأينا الى ماقيل فى حكم الكفر على الاراضى المقدسة وقت الاسراء ووجود الخنازير حول المسجد الاقصـــى فهـــذا لاينـــافـــى وجـــود البركة ، لأنه يمكن ان تكون هذه البركة بركة مادية لان القرآن

قال : ,,باركنا حوله ،، ولم يقل باركنا فيـــه ، فمعناه ان القرآن يشير الى البركـــة التى كانت خارج المسجد وهى بركـــة مادية دنيـوية ، لان البركة الروحانية توجد فى المسجد ايضا . والبركة المادية التى اشار اليها المفسرون كانت ولاتزال موجـودة فى تلك الاراضـى ، لانها معمورة بالثمار والازهار .

وأما اذا اريد بها البركة الروحانية والتقدس و الحرمة فانها ايضا لاتنافى وجودحكم الكفر و النجاسات ، ولاتزال هذه البركة بها ، لان المسجد الحرام ايضا لم يكن تحت الحكم الاسلامى بل كان مملوءا بالصور و الاصنام ، وكانت اراضيها ملطوخة بدم الضحايا التى ذبحت لغير الله به ، اذا بدأ الرسول صلى الله وسلم سيره المبارك الى المسجد الاقصى . ونص القرآن الكريم بوجود البركة فى الاراضى التى كانت تحت حكم الكفار كما جاء فى سورة الاعراف :

,,واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض و مغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بمـــا صبروا ودمّرنا ماكان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ،، (١٥) .

واطلق القرآن كلمة ,,الارض المقدسة ،، (و التقديس اعلى من البركة) على البلاد التى كانت تحت سيطرة الكفر قبل دخول المؤمنين فيها بسنين كما جاء فى سورة المائدة :

,,يا قـــوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولاترتدّوا على ادباركم فتنقلبوا خسرين . قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون ،، (١٦) .

فحسب الاية الاولى كانت الارض التى اورثها الله عبادة مباركة

فيها قبل ايراثه اياها لعبادهم .

وحسب الآية الثانية كانت الارض التى امر الله قوم موسى ان يدخلوها مقدسة قبل دخولهم اياها وكانت فى الوقت نفسه تحت سيطرة الجبابرة .

فيتضح من هذا أن المسجد الاقصى هو مسجد بيت المقدس كما قال به العلماء المفسرون فى السلف و الخلف ، وكل ماقيل خلاف هذا الرأى لايؤيده اى دليل نقلى أو عقلى . والله اعلم .

المراجع

١) طبرى ، محمد بن جرير : جامع البيان ٨٠ : ٥

٢) ابو الفداء ، الحافظ عماد الدين اسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم : ٣ ، ٢

٣) الرازى ، فخر الدين : التفسير الكبير ، ٢٠ : ١٤٦

٤) مصدر سابق

٥) الآلوسى : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، ١٥ ، ٩

٦) الشوكانى : محمد بن على بن محمد : فتح القدير .

٧) قطب ، سيد : فى ظلال القرآن ، ٥ : ٣٠١

٨) الاصفهانى ، الراغب : المفردات فى غريب القرآن ، ايران : ١٤٦

٩) ايضاً

١٠) القرآن ، المعارج : ٤

١١) ايضاً ، الحجر : ١٤

١٢) ايضا ، الفاطر : ١٠

١٣) المتنبى ابو الطيب : الديوان ، ١ : ١١٩

١٤) القمى ، ابو الحسن على بن ابراهيم : تفسير القمى ، ١١١

١٥) القرآن ، الاعراف : ١٣٢

١٦) ايضاً ، المائدة : ٢١ ، ٢٢